المحاضرة 3
الاعتراف والتوبة والغفران

The John Knox Institute
of Higher Education

Entrusting our Reformed Inheritance to the Church Worldwide

كليّة جون نوكس للتعليم العالي

إسناد ميراثنا المُصلَح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

© 2021 من خلال كليّة جون نوكس للتعليم العالي

كلّ الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذه المحاضرات بأيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة لتحقيق الربح، باستثناء استخدام اقتباسات مُختصرة لأغراض المراجعة أو التعليق أو المنح الدراسيّة، من دون الحصول على إذن خطّي من الناشر: كليّة جون نوكس، ص. ب. 19398، كالامازو، ميشيغان 49019–19398، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جميع اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستاني – فاندايك، ما لم تتمّ الإشارة إلى خلاف ذلك.

الرجاء زيارة موقنا: www.johnknoxinstitute.org

القس أ. ت. فيرغنست هو خادم الإنجيل في الكنيسة المُصلَحة في كارترتون، نيوزيلندا، وهي كنيسة تابعة للكنائس المُصلَحة في نيوزيلندا.

www.rcnz.org

سلسلة محاضرات لاهوتية
القسّ أ. ت. فرغنست

1. المقدّمة
2. تعليمات يسوع عن المواجهة
3. **الاعتراف والتوبة والغفران**
4. الإحاطة بالصلاة والمحبّة
5. الحرمان الكنسي والاستعادة

حلّ النزاع في الكنيسة

القسّ أ. ت. فرغنست

المحاضرة 3
الاعتراف والتوبة والغفران

أهلاً بكم في محاضرتنا الثالثة عن حلّ النزاعات بين المؤمنين، كما شرحها السيّد الربّ يسوع المسيح في متى ١٨ الآيات ١٥ إلى ١٧. قبل أنْ نتعمّق في توجيهات الربّ، سأحاول إقناعَكم بالبركات والفوائد الخمس الغنيّة التي تنبع من المواجهة الكتابية. هذا من أجل تحفيزنا.

أوّلًا، التعامل مع الخطيئة يُكرمُ ربَّ المجد. كما أنّ قداسةَ الله هي جمالُه، فإنّ أيَّ إهمال للقداسة يُحقّر من قضيّة الله. أمّا الدافع الثاني، فهو أنّ التعامل مع الخاطئ يُخلّصه من الموت، ويُوقف الآثار المتتالية لأيّ خطيئة ارتكبها. ذكرنا في محاضرة سابقة، من رسالة يعقوب ٥: ٢٠، "فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ ضَلَالِ طَرِيقِهِ، يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ ٱلْمَوْتِ، وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ ٱلْخَطَايَا." أمّا الدافع الثالث، فهو أنّ التعامل مع الخطيئة يُفيد المُساءَ إليه. أشار يسوع إلى هذا التشجيع في إنجيل متى ١٨: ١٥: "ستربح أخاك." ورابعًا، أنّ التعامل مع الخطيئة يُفيد بيتَ اللهِ كلِّه. فكّر في ذلك. إن بقي "عاخان" في المحلّة، كما في أيّام يشوع، فإنّ بيتَ الله كلَّه سيعاني (يشوع ٧). ويُحذّر يسوع من ذلك، في سفر الرؤيا

٢ و٣، من التمسّك بالمعلّمين أو التعاليم الكاذبة. فإن لم يتمّ معالجة هذه الأمور، سيتخلّى الربّ عنهم جميعًا. وأخيرًا وخامسًا، إنّ معالجة الخطيئة تُفيد العالم أيضًا، لأنّهم سيرَوْن شهادة عن المحبّة والغفران، ولن تُعاق هذه الشهادة عندما نعالج الخطيّة. أعلن يسوع في يوحنا ١٣: "وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهَذَا يَعْرِفُ ٱلْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ." (الآيتان ٣٤ و٣٥). يا لها من شهادة قويّة للملك ومجدِه في هذه المحبّة الصادقة والعمليّة، وفي حلّ النزاعات أيضًا.

فلنُلخّص إذًا ما تعلّمناه حتّى الآن في متى ١٨: ١٥: "وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَٱذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا." لاحظنا أنّ مواجهتنا يجب أن تكون أوّلًا مُشبعة بالمحبّة. بحسب أفسس ٤: ١٥، علينا أنْ نقولَ الحقّ، ولكن بمحبّة. ثانيًا، يجب أن تكون سريعة. أمرُ يسوع هو: "فاذهب"، وفي الأصل اليوناني، تعني: اذهب، لا تتأخّر؛ لا تؤجّل هذه المواجهة. ثالثًا، يجب أن تكون المواجهة هادفة: "اذهب وعاتبه." ليس الغرض من الاجتماع قضاءُ وقت ممتع للحديث، أو البحث عن فرصة لطرح الموضوع، إنْ طُرح. لا، يجب أن يكون حديثنا هادفًا، لحلّ مشكلة الخطيّة. لذا، كن صريحًا واسأل الشخص: "متى يكون الوقت مناسبًا لي ولك للتحدّث عن هذه المسألة التي تُقلقني؟" رابعًا، يجب استخدام الكلام، إذ يجب أن "تعاتبه على خطئه." كلمة "عاتبه" في الأصل اليوناني تعني "وبّخ"، أي أنَّ عليكَ أن تسعى لإقناع الشخص بخطئه الذي يُؤذيك ويؤذي الآخرين. فلنُذكِّر بعضَنا البعض أنّ المشاكل لا تُحل بالإيماءات، أو بالتجاهل، أو بتجنُّب الموضوع، أو بأيّ تواصل غير لفظي آخر. يتوقّع الربّ منّا أنْ نناقشَ الأمرَ بوعي وبحَسَب الكتاب المقدّس. خامسًا، يقول إنّه عليك أن تفعل هذا بالسرّ، أي "بينك وبينه وحدكما." نحتاج إلى القيام بذلك لحماية اسم المُسيء، لذلك، يأمرنا ربّنا بالحفاظ على سرّية

الخطأ، بين المُسيء وبيننا.

فلنتعمّق الآن في كيف يريدنا الربّ التعامل مع النزاعات، مستشهدين ببعض الآيات الأخرى التي يتكلّم فيها الله بإسهاب عن هذا الموضوع. علينا الآن أن نقترب بروح الرسول بولس، ونحن نواجه بعضنا البعض. يكتب بولس في 2كورنثوس 2: 4، مُتأملاً في توبيخه الأخوي الذي قدّمه في رسالته السابقة. لاحظوا في هذه الكلمات مشاعرَ قلبه. يقول: "لِأَنِّي مِنْ حُزْنٍ كَثِيرٍ وَكَآبَةِ قَلْبٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، لَا لِكَيْ تَحْزَنُوا، بَلْ لِكَيْ تَعْرِفُوا ٱلْمَحَبَّةَ ٱلَّتِي عِنْدِي." يا أصدقائي، يا للفرقِ الشاسع الذي سيحدث عندما نتعامل مع بعضنا البعض بمثل هذه المحبّة الباكية.

علينا أيضًا أن نكون لطفاء. نحتاج أن نكون ودعاء، كما هو موضّح في غلاطية 6: 1. نقرأ هناك: "أَصْلِحُوا مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ ٱلْوَدَاعَةِ." الشخص الذي وقع في الخطيئة يشبه شخصًا انفصل عظمه: انفصلت عن مكانه. إن لم نتعامل مع هذا العظم المنفصل بحكمة، فقد تؤدي جهودنا في الإصلاح إلى ضرر أكبر أو حتّى دائم. لذا، كونوا لطفاء. لذلك، نحتاج إلى أن نكون ودعاء ومتواضعين، كما تشير غلاطية 6: 1. كيف؟ "نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلَّا تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا." أنت وأنا مُعرّضان للوقوع في الخطايا نفسها إن لم تمنعنا نعمة الله من بقايا الخطيّة ومن الإنسان العتيق الساكن فينا. ذات مرّة، كان شقيقان – لنسمّهما الأخ الأكبر والأخ الأصغر – في طريقهما لمواجهة أخ مخطئ بشأن خطيئته. أثناء القيادة، علّق جونيور قائلًا: "لا أفهم كيف يُمكن لأخينا أن يرتكب مثل هذه الخطيئة." عند سماعه هذه الملاحظة، أوقفه أخاه الأكبر سنًّا، والذي كان يقود السيارة، ثمّ استدار عائدًا إلى المنزل. سأله جونيور، وقد بدا عليه بعض الدهشة: "لماذا تعود؟ هل نسيت شيئًا؟" كان جواب أخيه الأكبر سنًّا مُفيدًا جدًّا: "لا، لم أنسَ شيئًا، لكنّني أعود لأبحث عن أخ آخر يرافقني، فأنت لا تملك العقلية الصحيحة

للتكلّم مع أخينا المُخطئ." هذا درسٌ قيّم.

لذا، أخيرًا، علينا أن نكون مُصلّين. يجب أن تُغمر جميع مُواجهاتنا المُحِبّة بالصلاة. تضرّعوا إلى الله؛ توسّلوا إليه أن يُمجّدَ ذاتَه من خلال كلّ هذه المُواجهة. تضرّعوا أن يُزيّن ثمرُ الروح لقاءَكم. تضرّعوا أن تُسيطر المحبّة على كلّ حديث، وأنْ يُسيطر علينا الصبر، وأن تتميّز جميع تفاعلاتنا باللطف، وأن يحكم علينا اللطف والوداعة بينما نتحدّث عن الخطيّة. صلّوا أن يُرشدنا الإيمان أو الأمانة للحقّ، وأن نُظهر ضبطَ النفس، وأخيرًا أن يُتوّجَ الفرحُ والسلامُ كلَّ جهودنا. انغمسوا في الصلاة. وتاج كل هذه الأعمال على هذا المستوى الخاص هو ما وصفه يسوع بهذه الكلمات المُشجّعة: "إن سمع لك"، يتبعها: "ربحتَ أخاك". يا له من دافع رائع، أن نُعيد شخصًا ما من درب الخطيئة، وأن نتصالح مع بعضنا البعض.

لكي تتمّ المصالحة بشكل كامل، علينا أيضًا أن نتأمل ما يعلّمنا الرب في لوقا ١٧: ١ إلى ٥. فلنتأمل في هذا المقطع وهو بالغ الأهمية لحلّ النزاعات. يبدأ يسوع تعليمه بتذكيرنا بحقيقة هذه الحياة. في لوقا ١٧: ١، يقول: "لَا يُمْكِنُ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ ٱلْعَثَرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِلَّذِي تَأْتِي بِوَاسِطَتِهِ." بمعنى آخر، يُدرك يسوع أنّ العثرات أمرٌ لا مفرّ منه، حتّى بين شعبه. لا يُمكن إلّا أن تحدث، لأنّ تقديسَنا لا يكتمل إلّا في السماء. في كل بيت من بيوت الله، ستكون هناك خطايا تُزعج، وتُسيء، وتُجرح، أو تُهدد الوحدة. علينا أن نُذكّر أنفسَنا بأنّ كنيسةَ الله المرئيّة على هذه الأرض ليست متحفًا للقديسين الكاملين. لا، علينا أن نعتبرَ بيتَ الله، أي الكنيسة التي نحن جزء منها، منطقةَ بناء، يُكملُ الله فيها شعبه، من خلال كلمته وروحه. أصدقائي، لن نصل إلى الكمال إلّا عندما ينقل الله شعبه من النعمة إلى المجد.

ومع ذلك، لاحظ أنّ يسوع لا يُخفف من وطأة الخطايا الموجودة بين شعبه هنا على الأرض. يقول:

"وَلَكِنْ وَيْلٌ لِلَّذِي تَأْتِي بِوَاسِطَتِهِ! خَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحًى وَطُرِحَ فِي ٱلْبَحْرِ، مِنْ أَنْ يُعْثِرَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ ٱلصِّغَارِ." هذه من أشدّ كلمات مُخلّصَنا رقةً. التحذير واضح: لا تمسَّوْا هؤلاء الصغار ولا تُضلّوهم. لكن الربّ يُوجّه انتباهَهُ بعد ذلك إلى المُساء إليهم. يقول في لوقا ١٧: ٣: "اِحْتَرِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ." ما لم يُضِفه يسوع في متى ١٨، هو ما أضافه في لوقا ١٧: "وَإِنْ تَابَ فَٱغْفِرْ لَهُ." التوبة هي ما نرغب في رؤيته في أخينا أو أختنا المُخطئ أو المُخطئة. التوبة هي تغييرٌ في عقولنا يُؤدّي إلى تغييرٍ في أفعالنا. عند إقراركم بالذنب، يُعبّر عن التوبة بالاعتراف، وكذلك بطَلَب المغفرة. في التوبة، تُذلُّون أنفسكم أمام المُساء إليهم، وتقولون مثلًا: "نعم، أرى الآن أن الطريقة التي تحدثتُ بها، أو الطريقة التي تصرفتُ بها معك كانت خاطئة جدًا، ومؤلمة جدًا، وهي خطيئة. أجل، كنتُ مخطئًا! لقد أخطأتُ في هذا، لقد أخطأتُ في حقّك بفعلي هذا"، ثم سمِّوا تلك الخطيئة. وينبغي أن يتبع ذلك سؤال: "من فضلك، هل يمكنك أن تسامحني؟" لماذا هذا الطلب صعب: أن تطلب من شخص أن يسامحك؟ لأنكم أناسٌ مُتكبِّرون. نحن نكره إذلال أنفسنا. إذلال الذات والاعتراف بخطئكم يُشعركم بالهزيمة، أليس كذلك؟ ومع ذلك، فإنّ هذا التواضع، وهذا الاعتراف، هو انتصارٌ عظيم! ليس انتصارُك كمُوبِّخ، أو ليس انتصارك كتَائب، بل انتصار جلال من في السماء، الذي يُهيئ قلوبَنا يومَ جبروته لنتواضع. إن تغلبتَ بنعمة الله على روحك، فأنت أقوى ممّن يقهر مدينةً بأكملها بمفرده (أمثال ١٦: ٣٢). لا شيء أصعب على طبيعتنا البشرية المتكبرة من أن نتواضع أمام أخٍ أو أخت، وأن نُسمّي خطايانا ونشعر بعارها، طالبين غفرانها. هذا هو الهدف. هذا ما نبحث عنه عندما نواجه خاطئًا، سواءً على المستوى الشخصيّ، أو في الخطوات اللاحقة من محاولات عامّة أو جماعيّة لإرشاده إلى التوبة.

فليكن واضحًا إذًا أنّ ممارسة المغفرة هي وصية أيضًا، ولكن فقط عند التعبير عن التوبة. استمع

مجددًا إلى ما قاله يسوع: "وإن تاب فاغفر له." لا يغفر الله الخطيئة عندما لا تكون هناك توبة في قلوبنا، ولا نعترف بها بأفواهنا أمامه. إنّ غيابَ التوبة والاعتراف هو ما يجعل الخطيئة ضدّ الروح القدس خطيئةً لا تُغتفر. الخاطئ الذي ارتكب هذه الخطيئة لا يعود أبدًا ويتوب ويطلب المغفرة. وعندما لا تكون هناك توبة، مُعبَّر عنها بالاعتراف، ويطلب مغفرة الله، حتّى الرب لا يغفر للخاطئ. مع أنّه مستعدٌّ للمغفرة في كلّ وقت، إلّا أنّه لا يغفر للخاطئ. لذا، يجب أن نكون مستعدين أن نغفر للآخرين. علينا أن نتواصل بكلماتنا ومواقفنا. لكنّ المغفرة الحقيقية ليست مُمكنة إلّا بالتوبة، متبوعةً بالاعتراف، وطلب الغفران.

لذا، إذا أسفرت مواجهتنا الشخصيّة أو الجماعية اللاحقة عن توبة، فإنّ أمرَ الربّ غير المشروط هو: "اغفر له." "أن تغفر" تعني حرفيًا، في اليونانيّة، "أن تُبعده قدر الإمكان، بعيدًا عن الأنظار، كبُعد الشرق عن الغرب." أصدقائي، أن تغفر، أشبه بإغراق خطيئة في أعماق المحيط، حيث يستحيل انتشالها. أن تغفر هو أنْ تتخلّص من الخطيئة، فلا تعود تفكّر فيها. ليس أن تقول: "أغفرُ لك" وأنت تحمل ضغينة وتعامل الخاطئ التائب كما لو كان لا يزال عدوًا لك، لا علاقةَ لك به. إنّ المغفرة كما يأمرنا يسوع هي من أصعب الأمور. ليس من طبيعتنا أن نغفر. لذا، لا تعتبروا المغفرة مجرّد كلام عابر، بل هي من أصعب التعابير عن المحبّة.

وكملاحظة جانبيّة، هذا أصعب على من جُرحوا جرحًا عميقًا ودائمًا بسبب خطايا الآخرين. ليست كلّ الخطايا سواسية. أن يُكذب عليك، أو أن تُخدع، أو أن يسرق أحدهم أموالك، أو يُشوّه سمعتك، فهذه خطايا حتمًا. أمّا أن تُساء معاملتك، أو تُنتهك، أو تُخزى، أو تُشوّه مشاعر شخص ما، فهذه خطايا تترك في الشخص جراحًا عميقة وندوبًا تدوم مدى الحياة. ستبقى آثارها مدى الحياة معه. في مثل هذه

الحالات، عندما يكون للخطيئة هذا الأثر الخطير، دعونا لا نفكر أو نتحدّث باستخفاف عن المغفرة. فمثل هذه القلوب المجروحة تحتاج إلى نعمة خاصّة لنغفر حقًا. وحتّى عند ممارسة هذا الغفران، في مثل هذه الحالات من الإساءَة وتشويه المشاعر، علينا أن نتذكّر أنّ هذا لا يعني دائمًا استعادة كاملة لعلاقة سليمة في هذه الحياة. لحماية الضحايا الضعفاء والمجروحين، قد يلزم الحفاظ على مسافات آمنة، حتّى عن أولئك الذين تابوا، والذين غُفر لهم عن أفعالهم المسيئة.

ولإضافة المزيد إلى ذلك، يختتم ربّنا توجيهاته بشأن المغفرة بتوسّع مذهل. يقول: "وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي ٱلْيَوْمِ، وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي ٱلْيَوْمِ قَائِلًا: أَنَا تَائِبٌ، فَٱغْفِرْ لَهُ." ربّما نظر التلاميذ إلى بعضهم البعض بعلامة استفهام كبيرة في أعينهم، "حقًا يا ربّ؟ هل هذا حقًا ما تطلبه منا أنْ نفعله؟ حقًا؟ من يقدر أنْ يغفر هكذا، وأن يغفر مرارًا وتكرارًا؟ كيف يمكننا أن نكون مُحبّين وصادقين وكرماء إلى هذا الحدّ لنفعل هذا مرارًا وتكرارًا؟" في متى 18: 21، تجرّأ بطرس أن يسأل الربّ يسوع عما إذا كانت سبع مرات هي الحدّ الأقصى. إجابةُ المعلّم على هذا السؤال أكثر إذهالًا: "قال له يسوع"، أي لبطرس ولنا: "لا أقول لك: إلى سبع مرّات، بل إلى سبعين مرّة سبع مرّات."

لاحظوا كيف استجاب التلاميذ لقوله "اغفروا مرّات عديدة": "يا ربّ، زد إيماننا." أليس من المدهش أنّهم لم يطلبوا زيادة في المحبّة؟ من الواضح أنّ كمًا هائلًا من المحبّة يتطلّب المغفرة سبعين مرّة سبع مرّات! صحيح أنّنا نحتاج إلى كَمّ هائل من المحبّة لنغفر مرّات عديدة. ولكن من أين تأتي هذه المحبة؟ هي لا تأتي إلّا من روح المسيح الساكن فينا. تأتي عندما نؤمن أنّ الله يغفر لنا، طوعًا، بفرح، وبشكل متكرّر، بأعظم ثمن ممكن من نفسه. قد يبدو من غير الواقعي أن يخطئ أخي في حقّي سبع مرّات في اليوم، ثمّ يعود إليّ سبع مرّات في اليوم. أصدقائي، ليس من غير الواقعي أن أخطئ في حقّ الله

سبع مرات في اليوم. كم مرّة نفشل في محبّة الربّ من كلّ قلوبنا وعقولنا وقوّتنا طوال اليوم؟ كم مرّة نفشل في محبّة القريب، بمن فيهم زوجي وأولادي؛ وبالتأكيد ليس أعدائي، بنفس المحبّة التي أحبَّ بها يسوع القريب، بل حتى الأعداء؟ إلى جانب الخطيئة الفعليّة، يوجد خطايا بسبب عدم القيام بفعل ما، ويوجد خطايا الإهمال. لذلك، في ضوء ذلك، حتّى سبعين مرّة سبع مرات يوميًّا ليست أمرًا غير واقعيّ في علاقتنا مع الله.

هل ترَوْن الآن الرابط الذي دفع التلاميذ إلى طلب زيادة الإيمان؟ إنْ عُشتُ يوميًّا في فرح غفران دَيْني الهائل لله، فسيصبح غفران الخطايا الصغيرة التي يرتكبها الآخرون في حقّي أسهل بكثير. حينها يصبح من الممكن فعل ما هو مستحيل من الناحية البشريّة، كما قال يسوع: "لو كان لكم إيمان بقدر حبّة خردل [صغيرة جدًا]، لقلتم لهذه الجميزة [الضخمة]: انقلعي وانغرسي في البحر؛ فتطيعك." بمعنى آخر، حتّى لو كان إيمانك بغفران الله العظيم لخطاياك صغيرًا كحبّة خردل، سيمكنكم من إظهار المحبّة لقريبكم عندما تغفرون له.

لنتذكّر أنه عندما أغفر لأخي أو أختي، حتّى لو كان هذا صعبًا، فهذا لا يحمل في طيّاته الثمن الباهظ الذي تكبّده الله ليغفر لك. فغفرانُه لنا ولو لواحدة من خطايانا أدّى إلى موت ابنه الوحيد الحبيب، يسوع المسيح. ومَنْ منّا يقدر أنْ يقيسَ حبّه هذا لنا نحن المتمرّدين، فيضحي بابنه ليُصبح غفرانَنا للآخرين مُمكنًا؟ اطلبوا النعمة لتعرفوا وتعيشوا وتثبتوا في إيمانكم بمغفرة الله لخطايانا من أجل يسوع المسيح. حينها فقط سنتمكّن من التغلّب على روح الانتقام والإساءَة لأخينا الذي أخطأ إلينا، حتّى لو كرّرها مرارًا وتكرارًا.

ماذا لو لم تُفضِ هذه المواجهة الشخصيّة إلى هدفها المنشود؟ في هذه الحالة، يُحدِّد الرب يسوع

تفاصيل أفعالنا القادمة، وسنتناول ذلك في محاضرتنا القادمة لهذا الموضوع.

شكرًا لكم، وليبارك الله هذه الكلمات.